تجديد الخطاب الديني وتوضيح ملامح الوسطية في الإسلام

أ. د محمد ياسر الخواجة- جامعة طنطا – مصر

ملخص: تحاول هذه الورقة توضيح ما المقصود بالوسطية في اللغة، والمعنى الاصطلاحي، والمفهوم الشرعي؟ وهل تعتبر الوسطية منهجا للتغيير الاجتماعي المتوازن؟ ما هي الملامح الأساسية للفكر الوسطي في الخطاب الاسلامي؟ وما هي مظاهر الوسطية والاعتدال في التراث الاسلامي؟

الكلمات المفتاحية: تجديد الخطاب الديني ، ملامح الوسطية .

Abstract :This paper attempts to clarify what is meant by mediocrity in the language, the conventional meaning, and the legitimate concept? Is moderation an approach to balanced social change? What are the basic features of the middle thought in the Islamic discourse? What are the manifestations of moderation and moderation in the Islamic heritage?

Keywords: Renewal of religious discourse , Features of moderation .

مقدمة:

تعد الوسطية واحدة من الفضائل الإسلامية الرئيسية التي تنطوي على قدر كبير من قيم الاعتدال والتسامح بل ليس لدى المسلمين فقط وإنما في الفضائل الانسانية عامة لأن الوسطية في الإسلام منزع استخلافي، ومنطلق كوني، وضابط حضاري أساسي للحياة الإسلامية الفردية والجماعية، كما تنتشر معاني الوسطية في كل مفردة من تفاصيل هذا الدين لتقدم ديناً عالمياً خاتماً، ومهيمناً يعطي أبعاداً حضارية شاملة لكامل الوجود الإنساني وتجربته الاستخلافية الانسانية في أبعادها الدينية، والسياسية، والثقافية والعمرانية والاقتصادية والأدبية والفنية، ولذلك فقد رأى أحد الباحثين أن رؤية المسلم الكونية للحياة هي رؤية أمة حضارية وسطية "بحكم جعله منتمياً إلى الأمة الوسط" التي أنيطت بها مسؤولية الشهادة الحضارية الشاملة على كامل التجربة الحضارية الانسانية(برغوث عبد العزيز، 2007، ص 420).

ووفقاً لذلك تحاول هذه الورقة توضيح ما المقصود بالوسطية في اللغة، والمعنى الاصطلاحي، والمفهوم الشرعي؟، وهل تعتبر الوسطية منهجاً للتغيير الاجتماعي المتوازن ؟ وما هي الملامح الأساسية للفكر الوسطي في الخطاب الإسلامي؟ وما أهم مظاهر الوسطية والاعتدال في التراث الإسلامي؟.

أولاً: مفهوم الوسطية لغة واصطلاحاً وشرعاً:

الوسطية في اللغة العربية جاءت من الفعل توسط فلان أي اخذ الوسط بين الجيد والرديء ووسط فيهم بالعدل والحق ، والأوسط هو المعتدل في كل شيء(مجمع اللغة العربية، 2009، ص 668).

أي أن الوسط إسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه كقولك قبضت وسط الحل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار، ووسط الشيء صار بأوسطه وكذلك جعلناكم أمه وسطا، وهذا المعنى فيه قولان قال بعضهم وسطاً عدلاً، وقال بعضهم خياراً ورغم إختلاف اللفظ إلا أن المعنى واحد لأن العدل خير، والخير عدل وقيل في وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في أوسط قومه أي خيارهم(ابن منظور، 1999، ص293-296).

أما مفهوم الوسطية إصطلاحا فتعني الإعتدال Normality ويقصد بها التطابق مع المعيار أو تناسق الجزء مع باقي أجزاء النسق مما يؤدي إلي حسن سير النسق ككل وتوازنه، وينطبق الاعتدال على أية حالة خاصة ولذا فإنه يعتبر من المفاهيم النسبية(بدوي أحمد زكي، 1986، ص287).

ولقد عرفت الوسطية قديماً بوصفها حل سياسي بين قطبين متضادين ومتعارضين هما الوسط واليمين، وبمعنى جديد بوصفها فلسفة اجتماعية حضارية ذات منظور تاريخي لقوة سياسية جديدة توصف بالوسط النشط استجابة للتغيرات العالمية الجديدة(جيدنز انتوني، 2002، ص47-48).

أما مفهوم الوسطية شرعاً، فالمعنى هنا عن وسطية الإسلام كدين يختلف عن الكلام حول الوسطية في الإسلام كمنهج يتعامل مع فروع الفقه ومعايشات الحياة.

فالكلام حول وسطية الإسلام يتناول الإسلام بين تشديدات اليهود، وتهاونات النصارى، وبين احتقار الأنبياء عند اليهود، وتأليه النصارى للمسيح وغير ذلك من وسطية الإسلام كدين، أما الوسطية في الإسلام فهي منهج داخل الإسلام بين الإفراط والتفريط تحت مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبة فسددوا وقاربوا وأبشروا، أي أن الوسطية مستنبطة من التيسير الذي هو ضد التنطع والتشدد.

وقد أوضح إبن تيمية أن الوسطية هي العمل بالنصوص الشرعية على الوجه الذي دلت عليه من غير زيادة أو نقصان، وبذلك تتحقق طاعة الله في إمتثال أمره وفي ذلك يقول "الاعتدال في كل شيء" إستعمال الآثار على وجهها، فمتابعة الآثار فيها اعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور(العتيبي غازي، 2099، ص 71).

أي أن الوسطية كما قال "الكوفي" استخدمت للخصال المحمود لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط(الكوفي أبو التفاء أيوب موسي الحسيني، 1998، ص 538).

ثانيا : الوسطية كمنهج للتغيير الاجتماعي المتوازن:

فالوسطية في الإسلام تتخذ من حقيقة الأمر أن"الأمة الوسط نموذجاً عملياً، وضوابط المنهج الوسطي موجهاً مرشداً، ومعلن الشهادة الحضارية على الناس رسالة ووظيفة، **وفي هذا الصدد لقد تناول أحد الباحثين الأمة الوسط من خلال ثلاث مقاربات أساسية :**

1. المقاربة الشرعية وتعني أمة الاعتدال والسماحة وسهولة المعاملة.
2. والمقاربة الحضارية، وتعني الفاعلية الحضارية والعمق الاستخلافي.
3. مفهوم الشهود الحضاري، وتعني التجمع الإنساني المركب المستوعب لخلاصات وخبرات الوعي الرباني والمشروع الحضاري الاستخلافي المنفتح على الزمان والمكان، بهدف تحقيق التوازن في الفعل الحضاري الإسلامي خاصة، وفي الفعل الحضاري الإنساني عامة(برغوث عبد العزيز، 2007، ص3).

ولذلك فإن الوسطية في الإسلام منهج للتغيير يحارب التسيب بكل أصنافه وصوره، فمحاربة الربا وحل البيع، ومحاربة الزنا والفحش وحل الزواج، ومحاربة السرقة والغش ووجوب العمل، ومحاربة تشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، والأمر بإلتزام ملابس وتصرفات كل جنس بجنسه، ومحاربة الغيبة والنميمة والأمر بالستر وحفظ المؤمنين، ومحاربة إطلاق البصر والأمر بغضه، ومحاربة الكذب والأمر بالصدق، ومحاربة اللامسؤلية والأمر برعاية المسئولية، كل هذا من وسطية الإسلام التي حاربت التسيب والتهتك والانحراف وشرعت شرعاً منه مصلحة المجتمع وبقاء عمارة الأرض، لذلك عرض القرآن الكريم عدداً من المصطلحات التي تصف السلوك المعتدل أو المستقيم(وليس الوسطية بالمعني النظري) والتي استعملت فيما بعد لاصطناع بنية أكثر تماسكا للوسطية ويتضمن ذلك بالدرجة الأولى مصطلحين اثنين واللذين يعنيان السلوك سلوكاً معتدلاً ومستقيماً إزاء الآخرين، كما يريد الله ويريد عباده، وهو القسط والقوامة، فالقسط من الفعل "قسط" وهو يعني التوزيع لكنه يستعمل بمعنى المساواة، والنبل الأخلاقي، فالله قائم بالقسط(سورة آل عمران، القران الكريم، الآية 9).

ثم قال تعالى "وأقيموا الوزن بالقسم ولا تخسروا الميزان"(سورة الرحمن، القران الكريم، الاية9)، وهذا يعني التصرف السليم والمستقيم، أما الوسطية فجاءت بمعنى الاعتدال كما في قوله تعالى في وصف عباد الرحمن "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً"(سورة الفرقان، القران الكريم، الآية67)، وقواماً هنا تعني عدلاً وسطاً بين الطرفين، كما قال تعالى"وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً"(سورة البقرة، القران الكريم، الآية143).

وأمة وسطاً أي خياراً أو متوسطين معتدلين، وهكذا فإن كل المصطلحات المستخدمة هنا تعني الاستقامة والاعتدال والنبل الأخلاقي، وكل ذلك مترجم في منهج السلوك المستقيم، والمعتدل، والطيب الصادر عن ذهن ورع، وبالتالي فإن التوازن أو الاعتدال بالوحي يجري التعبير عنه باعتباره الوسط او التوازن الذهبي الذي يجري الاحتكام إليه في السلوك الجيد والملائم، وعلى العكس من ذلك فإن الإفراط والغلو في الدين أو في السلوك اعتبر خروجاً على الطريقة الإسلامية الصالحة في العقيدة والتصرف.

ولذلك أكد رفيق حبيب "أن الوسطية منهج معتدل لا يميل إلي الإفراط والتفريط وهي منهج للتغيير الواقع من داخله سلمياً، فالإفراط هو تغيير الواقع من خارجه بالقوة، والتفريط الاستسلام للواقع(راجل عبد العزيز، 2008، ص5).

وهنا يرى بعض الباحثين أن الوسطية هي طريق ثالث فضلاً عن أنها نموذج وحالة وموقف وليست متوسطاً حسابياً فالأمة الوسط في منظور الإسلام هي:

1. هي مصدر وسط للتوازن والانسجام بين الجماعات البشرية المختلفة.
2. هي أمة وسط من حيث الاعتدال في المزاج واجتناب الإفراط والتفريط.
3. هي وسط من حيث موازين القيم والأنظمة التي تقوم عليها، فالنسق القيمي الإسلامي يوازن بين القيم الفردية والجماعية والمسؤوليات أي الحقوق الاجتماعية(ابو الفضل مني، 1996، ص45).

ولذلك فإن الوسطية في الإسلام هي منهج ليس فقط يدعوا إلي التغيير وإنما يسعى إلي تحقيق التقدم والتنمية والحداثة، ومن ثم فقد أكدت التجربة عن عدم تعارض بين الدين والحداثة، فقد كشفت التجربة الماليزية على أن القيم المشتقة من الدين الإسلامي تدل على انه دين لا يتعارض مع متطلبات التقدم والحداثة، وأنه يمكن أن يكون طاقة تنموية متجددة(الشرفي عبد المجيد، 1991، ص31-32)، خاصة في ظل أن العالم المعاصر يشهد أزمة أخلاقية تتجلى في ضرب من القلق الأخلاقي، الذي تكثر في ظلاله الخطابات حول ضرورة العودة إلي الدين، وبالتالي فان تطوير الخطاب الديني يتطلب دمج قيم الوسطية والاعتدال في بنية الخطاب الديني بحيث يتجه الخطاب الديني نحو دفع القيم الانسانية كالعدل، والعلم، والحرية، والتسامح، والعيش المشترك في إطار مجرد عن الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان دون نزعة طائفية، ولذلك يقرر عالم الانثروبولوجيا الفرنسي : كلود ليفي شتروس "أن الإسهام الحقيقي لأية ثقافة لا يتكون من قائمة الاختراعات التي أنتجتها فقط بل من اختلافها عن غيرها ودرجة التسامح لديها، فالإحساس بالعرفان والاحترام لدى كل فرد في أية ثقافة تجاه الآخرين لا يقوم إلا على اقتناع بأن الثقافات الأخرى تختلف عن ثقافته في جوانب عديدة،

حتى وإن كان فهمه لها غير مكتمل، ومعنى ذلك أنه لا وجود لثقافة إلا في هوية محددة تميزها عن غيرها، فإن إنقضى التميز والاختلاف انتفت الثقافة، وهذا الاختلاف والتميز هو قوام الهوية الثقافية وشرط حواره، مع الهويات الأخرى، فلا حوار بدون اختلاف، ولا اختلاف بلا هوية ولا هوية إلا بوعي الفرد بين الأنا والآخر، كما أن الاعتراف المتبادل بين الثقافات المختلفة دون النظر إلى ما تتفق فيه، وما تختلف عليه يعبر عن موضوعية الاختلاف، وعن الوعي الموضوعي الذي يدعم الحوار، ويستنكر نفي الآخر(دراج فيصل، 2003، ص1-63).

وهذا يعني أن الثقافات المتباينة في حالة تفاعل دائم من خلال وجود درجة أو أخرى من التسامح المشترك بينهما، ومن هنا فإننا في حاجة إلى إعادة تأكيد أهمية منهج الوسطية التي تنطوي على قدر كبير من التسامح ونبذ التعصب الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي، فالمنهج الوسطي ليس منهج قيم نبيلة فقط ولكن المسألة تتجاوز نطاق الأخلاق إلي مختلف جوانب حياتنا اليومية وتؤثر على مستقبلنا وعيشنا المشترك(عبد الجواد جمال، 2000، ص7).

لذا فقد أكد المفكر "أمين الخولي" على ضرورة إبراز المنهج الاجتماعي الوسطي في الإسلام، فهو يريد بالإسلام ذلك النظام الاجتماعي الذي يقرر أصول التدبير المعتدل لحياة أفضل سعيدة ناجحة، محترماً في ذلك الواقع الفعلي، ومحكماً نواميس الكون، وسنن الفطرة، لا أوهام الواهمين وظنون الضانين، كما أنه يريد بالإسلام ذلك النظام الاجتماعي الذي يري الدنيا وحدة متماسكة، يتأثر مجموعها بأصغرها ما يتأثر به أهون أفرادها وأدق أجزائها، ويبتغي الخولي التدبير الديني الإسلامي للحياة، لا التعبد الفردي الجزئي مستنيراً في ذلك بأضواء القرآن الكريم، وفي هذا السياق يرى "الخولي" أن الإسلام يملك القدرة المتجددة على استمرار حضوره في المسائل الاجتماعية، والسبب في ذلك أن القرآن قد عودنا في تدبيره المنهج الاجتماعي الوسطي ألا يمس سوى الأصول الكبرى للإصلاح الإنساني تاركاً وراء ذلك من تفصيل للتدرج الحيوي، والجهاد العقلي ينتفع في ذلك بكل ما يسعفه عليه نشاطه، ويؤهله له تقدمه ويقدر في ذلك الإسلام اختلاف الأحوال، وتغير الزمان، أي أن " الخولي" يحاول الربط بين النص في كلياته العامة الشاملة، و بين الواقع في تغيراته وتجلياته المستمرة من خلال جهود الإصلاح والتجديد والتي تفسر هذه الكليات وفقاً لاختلاف الزمان، والمكان وطبيعة كل بيئة.

وحاول "الخولي" أن يطبق موقفه من علاقة النص بالواقع من خلال بعض المشكلات الاجتماعية مثل المال والعمل، فيرى أن الإسلام جاء في مسألة المال بكليات عامة من المهم توظيفها من أجل خدمة العلاقة الوسطية بين غريزة حب التملك لدى الإنسان، والوظيفة الاجتماعية للمال من خلال سعي القرآن إلى عدم ترك رغبة الإنسان في التملك إلا ما لا نهاية، ولكنه سعى إلى هز أركان هذه الملكية من خلال الإقرار أن المال مال الله ولابد من إخراج الزكاة للفقراء(أحمد سالم، 2009، ص83)، وفي هذا الإطار قال تعالى"وآتوهم من مال الله الذي أتاكم"(سورة النور، القرآن الكريم، الآية 33)، ومن ثم فإن نظرة القرآن إلى هذا المال في أيدي الواجدين إنما هو تأصيل وتأسيس الشعور لدى واجدي هذا المال بعدم الأثرة في هذا الثراء، والتفرد بهذا الغنى، والحق المباشر في تلك الأموال وهي الفكرة التي

يعمل الهدي القرآني على ترسخها وتكوينها في نفوس أصحاب المال، وهنا يوضح "الخولي" كيف أن القرآن الكريم أدرك حب الإنسان للتملك، ولكنه حاول في نفس الوقت أن يهذب تلك الغريزة من خلال القول باستخلاف الله للإنسان في التصرف في هذا المال فقال تعالى "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه"(الآية 7، سورة الحديد، القران الكريم)، ومن ثم فان القرآن حين يحمي الملكية الفردية واقعياً لا يفاجأ الناس بتجريدهم من أموالهم تجريداً يفتر همتهم، ويثني عزائمهم ويقعدهم فلا يبتكرون، ولا يزودون عن حماهم، ثم هو حين هز أسس الملكية الخاصة يكون مثالياً يكفكف عن غلوا الأغنياء ويزلزل صلتهم بأموالهم، ويجعلها للناس جميعاً وأصحابها عليها أمناء مستخلفون وهو مال الله لا مالهم، وبهذا التعديل الديني السماوي الصبغة، الإلهي الروحي يقيهم أخطار الجموح في التملك والوصول إليه بأي وسيلة، وإهدار الخلق والفضيلة والإسراف في التمتع ونسيان حق الجماعة أي حق الله الذي هو صاحب المال(أحمد سالم، 2009، ص 83).

وإذا كان الإسلام وازن في منهجه بين الرغبة الفردية للتملك، وحق المجتمع في هذا المال، فإن المنهج الإسلامي وازن أيضا بين دور الدين دنيوياً ومادياً، وروحياً ونفسياً، حيث أوضح "الخولي" أن الإسلام هو دين دنيوي معني بشؤون الدنيا فأكد على العمل واستعمار الأرض، فالنظرة الفاحصة للقرآن تدلنا على أن الحياة منظمة بنواميس عملية مضبوطة بنظم واقعية خارجية والنجاح فيها والظفر بخيرها مرهون بالعمل والاجتهاد، ومترتب على كفاحه العملي ومرتبط بإدراكه الصحيح لواقع الأشياء الكونية وتقديره السليم لنظم هذا العالم وتدبيراته، ولن يغني الإنسان عن ذلك شيئاً آخر من شئون اعتبارية معنوية أو نفسية روحية إلا إذا قام على واقع وصار أمراً مشاهداً وحاضراً ثابتاً، فما عدا العمل من نية طيبة وسريرة خيرة، وخلق كريم وعقيدة صحيحة إذا كان وحده فقط وبلا عمل فلا جدوى له ولا أثر في هذه الحياة الدنيا وإذا كان مع العمل فنعم، فإنه يسدده ويوفق خطاه، كما أن العمل عند "الخولي" هو الذي يرفع الناس درجات بعضهم فوق بعض، ولكل درجات مما عملوا (سورة الأحقاق، القرآن الكريم، الآية19).

وهذا ما يوضح مدى اهتمام الإسلام بقيمة العمل لأنه أساس النهوض للأمة وقيامها من حالة الركود والتخلف التي تعيش فيها، وهذا المعنى هو ما تحتاجه الأمة للتغيير الآن في هذه الظروف التاريخية، لكن الإسلام اهتم أيضا بالجانب الروحي والنفسي فجعل العبادات والغيبيات والمعتقدات الإيمانية أساس أصيل في الإسلام، فالحاجة إلى الإيمان ضرورية نتيجة للضعف الإنساني العام فقال تعالى"وإذا مس الإنسان الضر دعا ربه منيباً إليه "(سورة الزمر، القرآن الكريم، الآية8)، وفي قوله"إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً"(سورة يونس، القرآن الكريم، الآية12).

ومن هنا يرى "الخولي" أن الدين الإسلامي يسهم في التكوين الروحي للأفراد وإحداث السلام النفسي لهم، وذلك لأن السلام النفسي هو القوة المعنوية التي لا قيمة لقوة مادية إلا إذا اعتمدت عليه، ومن ثم فإن الدين الإسلامي هو طب معنوي للنفوس، كما هو الطب العملي بالنسبة للأجسام والأجهزة، فهو يعمل على سلامة الأعضاء حتى يستمر اتساقها، ويستقر نظامها، وتتحقق سلامة الجسم، وعلى هذا يطب الدين الغرائز، والقوى النفسية المودعة في

الكيان الإنساني المسيرة للوجود البشري ليطرد تعادلها، ويثبت نظامها ، فتتحقق بذلك سلامة كسلامة الجسم، وبذلك يسهم الدين في إعطاء القوة للإنسان على مواجهة تقلبات الأيام، ومفاجآت الليالي بشيء أفضل وأفعل وهو الإيمان الراضي، والرضا النفسي المؤمن المطمئن(أحمد سالم، 2009، ص86-92)، فقال تعالى "لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون"(سورة آل عمران، القرآن الكريم، الآية12).

وهذا ما يؤكد وسطية المنهج الإسلامي واعتداله في كل الأمور الحياتية والآخرويه والفضائل الانسانية، وقد أكد ذلك ما ذهب إليه "ارماندو سالفايوري" من أن الدين الإسلامي بوصفه آخر الديانات في أسرة الديانات الإبراهيمية استطاع أن يؤسس حضارة دينية وسطية عظمى من خلال إعادة صياغة عناصر أساسية في الديانات السماوية السابقة(أي اليهودية والمسيحية)، كما أن النجاح السياسي المبكر للإسلام يرجع لأنه استوعب الموضوعات الأساسية في التاريخ الروماني المتأخر ولم يتناقض معها، كما حاول الإسلام أن يدخل ضرباً من الكمال على ملامح الحضارة المحورية في عملية إعادة بناء الرابطة الاجتماعية خاصة بناء علاقة ثلاثية متوازنة مع الأنا، والآخر والله(ارماندو سالفاتوري، 2012، ص253-236).

ولذلك لم نكون مبالغين إذا قلنا أن الإسلام بقيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول " فودين Fowden " في ممارسته ورسالته كآخر الأنبياء وأحد بناة الدول العظام وكأول قائد للأمة الجديدة قام في تكوين وتنظيم العلاقات الانسانية على منظومة من القيم أبعد من القرآن ذاته على نحو يتصل مباشرة بنظام الحياة الاجتماعية والواقع الحي المعاش(ارماندو سالفاتوري، 2012، ص237).

ثالثاً : الملامح الأساسية للفكر الوسطي في الخطاب الإسلامي المعاصر:

إن تجديد الخطاب الديني المعاصر يتطلب تحديد ملامح الفكر الوسطي ومضمونه، وفحص وتمحيص منطلقات هذا الخطاب الذي تحمله الأمة الوسط لفرز النافع منها، والصالح عن غيره، مما لا يصلح لعصرنا الراهن، لكن يجب التأكيد على أن الحديث عن الوسطية لا يتناول ثوابت الإسلام وأصوله فما أحله الإسلام حلال إلى يوم القيامة وما حرمه الإسلام فهو حرام إلى يوم القيامة، ولذلك عندما تطرح الوسطية تفيد العدل والحكمة، والاعتدال والتوازن المنشود في الحياة، الوسطية بين الإفراط والتفريط، بين التقصير والغلو، فهي الحق بين باطلين والعدل بين ظلمين أي التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين مثل الأطراف المتقابلة أو المتضادة الروحية والمادية، الفردية والجماعية الواقعية والمثالية، ولكن نرى انقسام الامه في الوقت الراهن بين الذين افتتنوا بركب الحضارة الغربية، والتزامها اعتقاداً منه أنه وصل إلى المدنية التي يتمتع بها الغرب، وبين الآخر الذي اصطدم من سيطرة المادة فترك كل شيء والتجأ إلى العزلة والتعبد، ومن ثم لم يستطع الأول أن ينال مراده لأنه فقد إنسانيته وجرى وراء غرائزه المادية، ولا الثاني حقق غايته لأن الله يعطي العاملين المخلصين أضعاف ما يعطي العابدين، فانفصمت عرى الامه بين مطالب بالماديات وآخر ملتزم بالتجرد التام عنها، فضاع النمط الأوسط وغابت معادلة التوازن من فكر وسلوك لدى عموم الامه الذي أراده الإسلام منهجاً في إحداث الاعتدال والتوازن، ولذلك فقد رأى

أحد الباحثين أن الأمة الإسلامية – في كثير من مراكزها وأطرافها – تعيش حالة وهن وضعف وغثائية حضارية شاملة أفقدتها حالة التوازن والرشاد والفاعلية في كثير من المجالات التي تتضمنها حقيقة الامه الوسط ورؤيتها للحياة، ومن هنا فلابد من عملية تجديد أو تغيير تتوجه إلى الامه عموما وإلى الإنسان خصوصا من أجل إعادة البناء وفق منطلقات وحقائق الوسطية الحضارية الإسلامية كرؤية ومنظور ومنهج للتجديد والتغيير والشهود الحضاري الشامل (برغوث عبد العزيز، 2007، ص237).

ولذلك سيتركز حديثنا خلال هذه النقطة حول أبرز أهم ملامح وحقيقة الفكر الوسطي للأمة الإسلامية بوصفها كياناً بشرياً، وواقعاً تاريخياً وثقافياً وعمرانياً حقق شروط النموذج الاستخلافي الحضاري ومناهجه الوسطي في النموذج النبوي والخلفائي الأول، ومن هنا فإذا أدركت الأمة حقائق وسطية الإسلام وفهمتها وطبقتها استعادت عافيتها وتحولت إلى أمة نشطة قوية، أمة حاضرة فاعلة متمكنة.

ويمكن تحديد أهم سمات وملامح الوسطية في الإسلام على النحو التالي:

السمة الأولى.الخيرية: حيث تميزت الأمة الإسلامية بأنها أمة خيرية فقال تعالى "كنتم خير امة أخرجت للناس"(سورة آل عمران، القرآن الكريم، الآية110)، بمعنى أنهم خير الأمم وانفع الناس للناس لأنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، ومن أبرز أوجه خيرية هذه الأمة، الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبالتالي فهي انفعها للناس لأنها تدعوهم إلى الخير ولا ترجوا منه ثمنا له، فضلاً عن كونها أكثر الأمم استجابة للأنبياء في الدخول إلى الإسلام وبالتالي فهذه الأمة أقرب الأمم إلى الحق واعتناقه، وهذه علامة الخير والرشد، فضلاً عن كون هذه الأمة لا تجتمع على ضلاله، وذلك لأنها أمة ورثت الرسل في القيام بهداية البشر ودعوتها إلى ما دعا إليه سائر الرسل من الإيمان بالله، وعبادته وحده، فهي ذات رسالة تبلغها، وتستمر في إبلاغها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذلك ما كان لهذه الأمة أن تضل عن مهمتها ورسالتها مهما طال عليها الأمد وامتد بها الأجل لأنها إن ضلت هي فلن يهتدي احد لانقطاع الوحي والرسالة وقد يضل بعض أفرادها وطوائفها عن الحق، بل قد يكفر ويلحد وينافق طوائف منها ولكنها لا تجتمع على ذلك أبداً، فقال صلى الله عليه وسلم "إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة"(الشيخ الألباني عن ابن أبي عاصم سلسلة الأحاديث، رقم 1331)، بخلاف من قبلها من الأمم فانه كان الحق يغلب منهم حتى لا تقوم به طائفة، فهؤلاء أهل الكتاب اليهود فيهم والنصارى اندثر الحق والدين الصحيح بينهم وانقرضت الفرقة التي كانت على الحق او انحرفت وأصبحت فرقهم كلها على ضلالة، وكفر وشك، فها هم سائر فرقهم وطوائفهم قد اجمعوا على الضلالة واعرضوا عما جاء به الإسلام من الحق فليس منهم رجل رشيد أما الأمة الإسلامية فهي لا تجتمع على ضلالة أبداً بل لابد أن تبقى طائفة منهم على الدين الصحيح ظاهرة قائمة به، أي ثابتة على الهدي والتوحيد ولا يذهب فيها نور النبوة والقرآن بل ما يزال مشتعلاً مضيئاً فيما تحمله جيلاً بعد جيل إلى يوم قيام الساعة.

ومن علامات الخيرية أيضاً كون الكتاب الذي انزل عليها خير الكتب السماوية فيقول "ستانلي لين بول" وهو عالم من الآثار الإسلامية أن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق

شك إلى أصالته، وان كل حرف نقرؤه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ أربعة عشر قرناً، وذلك بخلاف الكتب السماوية السابقة التي طرأ عليها الكثير من التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان بل والضياع أيضا ولذلك قال تعالى"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (سورة الحجر، القرآن الكريم، الآية 9).

فضلا عن كون نبي الأمة الإسلامية أفضل الأنبياء والرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ولذلك يقول المفسرون إن أمة يختار الله أفضل رسله، وأعلاهم مكانة ومنزلة عنده وأحبهم إليه فيبعثه فيها هادياً ونبياً ورسولاً لهي أمة حرية بأن تكون خير أمة، لأنها أمة خير الخلق والرسل منه تعلمت وعلى يديه تربت وبه فاقت الأمم، علاوة على تقدمها على الأمم السابقة في الحشر والحساب يوم القيامة ودخول الجنة من كونها آخر الأمم فيقول صلى الله عليه وسلم "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله ، فالناس لنا تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد"(أخرجه البخاري، حديث رقم 876)، وهذا يعني أننا الآخرون زماناً، والسابقون منزلة وبالتالي فهم أكثر أهل الجنة فيقول صلى الله عليه وسلم"أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟ قلنا نعم، قال والذي نفس محمد بيده، إني لأرجوا أن تكونوا شطر أهل الجنة وذلك لأن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما انتم في أهل الشرك إلا كشعرة بيضاء في جلد الثور الأسود (الصلابي علي محمد، 2005، ص120-130).

السمة الثانية. العدل: فالعدل يعد من أهم سمات الوسطية، لأن الخيار من الناس عدولهم حيث أن العدل الذي أمرت به هذه الأمة، حق لكل واحد من الناس فقال تعالى" وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً "(سورة النساء، القرآن الكريم، الآية58)، وبالتالي فالعدل حق لكل الناس وجميع الناس لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس ، وإنما هو لكل إنسان بوصفه إنسانا، فهذه الصفة صفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصيغة التي يلتقي عليها البشر جميعاً، مؤمنين وكفار، أصدقاء وأعداء، سوداً وبيضاً عرباً وعجماً ، والأمة الإسلامية قيمة على الحكم بين الناس بالعدل -متى حكمت أمرهم – فالعدل واجب على هذه الأمة ولو كان فيه مراغمة لعواطف البعض والكراهية وفي الواقع لم يكن العدل في حياة هذه الأمة الإسلامية الخاتمة – مجرد مثل عليا، أو وصايا تفخر بها دون ممارسة أو تطبيق، ولكنه كان واقعاً عاشته هذه الأمة ومارسته، وطبقته في واقع حياتها على مر تاريخها الطويل ،على تفاوت في ذلك التطبيق بين زمان وزمان، ودولة وحسب اشتعال جذوة الإيمان في قلوب الحاكمين وضوئها، على أن ما يقطع به انه لم يخل الزمان ممن يقيم الحق والعدل ويقوم بالقسط ويحكم به هذه الأمة، ولمعرفة المواقف الرائعة لعدالة هذه الأمة(عبد الله محمد باكريم محمد، 1994، ص170)، اعتراف أعداء هذه الأمة بعدالتها، فيقول "وول ديورانت" صاحب كتاب قصة الحضارة وهو مستشرق يهودي صهيوني، لقد كان أهل الذمة(المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون) يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا

أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، احتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وضريبة عن كل شخص تختلف باختلاف دخله، ولم تكن هذه الضريبة (الجزية) تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، وبعض من الرهبان، والنساء، والذكور الذين هم دون البلوغ والأرقاء والشيوخ، والعجزة، والفقر الشديد، وكان الذميون في نظير هذه الجزية يعفون من الخدمة العسكرية، ولا تفرض عليهم الزكاة، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم، كما اعترف المستشرق "ستانلي لين بول"بأن الأندلس لم تنعم طوال تاريخها بحكم رحيم وعادل كما نعمت به في أيام الفاتحين(ديورانت وول، 1988)، وبهذا يتضح ملمح من ملامح الوسطية وكيف مارسته أمه الإسلام مقارنة مع غيرها من أهل الكتابين اليهود والنصارى، واتضح إلى أي مدى كان الإسلام ديناً يقيم العدل ويحارب الظلم والاضطهاد.

السمة الثالثة.اليسر والتوسعة ورفع الحرج: فمن أبرز سمات الوسطية التيسير ورفع الحرج وهما مرتبة بين الإفراط والتفريط، وبين التشدد والتنطع، وبين الإهمال والتضييع، ويقول احد الباحثين أن السماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مصالح الشرع، فقال تعالى يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر"(سورة البقرة القرآن الكريم، الآية185).

وإن التكليف بحسب الوسع والمقدرة فقال تعالى "لا نكلف نفساً إلا وسعهاً"(سورة المؤمنون، القرآن الكريم، الآية 62)، وهذا يبين أن التكليف بحسب الوسع والطاقة، ولا شك أن الأحكام الشرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دول بلوغ الطاقة، ففي ذلك الدلالة الظاهرة على أن الحرج مرفوع، وان اليسر سمة هذا الدين، والتوسعة على العباد خاصية من خصائصها، فهي الحنيفية السمحة والوسطية التي لاعنت فيها، ولا مشقة. وهذا لا يعني– أيضاً- التفريط والتساهل والتهاون بحجة أن هذا الدين يسر والتوسعة إلى الشارع لا إلى أهواء الناس ورغباتهم وما ألفوه ودرجوا عليه، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، ثم أن قضية التيسير والتوسعة قضية منهج متكامل وليست تتعلق بجزئية أو جزئيات كما يتصور البعض، وبالتالي فلن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطية إلا إذا فهمنا سمة اليسر والتوسعة ورفع الحرج، وإلا تصبح الوسطية معنى مفرغاً من حقيقته وقولاً نظرياً لا وجود له في الواقع، وبذلك يفقد الدين خاصية لها أثرها في حياة الناس ومآلهم(الصلابي علي محمد، 2005، ص168).

السمة الرابعة. الحكمة: إن الحكمة ملمح من ملامح الوسطية، وتحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف، تحقيقاً للمصالح وردءا للمفاسد وهذا لا يتحقق إلا بإتقان الحكمة، فالحكمة كما قال ابن القيم أنها معرفة الحق، والعمل به والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه وشرائع الإسلام، وحقائق الإيمان، أي هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وقال في موضع آخر الحكمة أن تعطي كل شئ حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه، أي لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها ولها حدود ونهايات تصل إليها، ولا تتعداها ولها أوقات لا تتقدم ولا تتأخر

كانت الحكمة مراعاة هذه الجوانب الثلاث بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره، ولا تتعدى بها حدها فتكون متعدياً مخالفاً للحكمة، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها متخالف الحكمة ولا تؤخرها عنه فتفوتها وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعاً وقدراً، فإضاعتها تعطيل للحكمة وتعجيلها قبل وقتها أو تعدي الحق، إضاعة للحكمة وهذا يتطلب فعل ما ينبغي على الوجه الأكمل في الوقت المناسب(الجوزية ابن القيم، 1982، ص478-479).

كما أن للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها وهي ثلاثة أركان، العلم، والحلم، والاناة، وآفاتها ومعامل هدمها، الجهل، والطيش والعجلة، وبالتالي لا حكمة لجاهل ولا طائش ولا عجول (الجوزية ابن القيم، 1982، ص 479)، وبالتالي فإن كمال الحلم يكون من كمال العلم وكمال الاناه، وهذا من أعظم أركان الحكمة التي هي من أهم ملامح الوسطية.

السمة الخامسة.الاستقامة: في الواقع أن الوسطية هي استقامة ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافاً، والانحراف إما إفراط إو تفريط فقال تعالى "إن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون(الجوزية ابن القيم، 1982، ص480).

وهذا يعني أن لزوم الصراط المستقيم استقامة على دين الله وشرعه وهذا عين الوسطية وجوهرها والاستقامة كلمة جامعة مانعه آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة كما يقول ابن القيم أعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وبالتالي فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله، ومن هذا فلا توجد استقامة بدون وسطية، ولا وسطية بدون استقامة، فالاستقامة على ثلاث درجات الأولى الاستقامة على الاجتهاد دون الاقتصاد، ولا عادياً رسم العلم ولا متجاوزاً حد الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السنة (الصلابي علي محمد، 2005، ص168).

السمة السادسة.البينية: من ملامح الوسطية البينية والتي تدل على وقوع شئ بين شيئين. أي أن هذا الأمر فيه اعتدال وتوازن وبعد عن الغلو والتطرف، وبهذا تكون البينية صفة مدح لا مجرد ظرف عابر، وبالتالي فقد ربط العلماء بين الوسطية والبينية، فإذا نظرت إلى الشريعة الإسلامية وجدتها وسطاً في كل أحكامها فأحكامها بين الغالي والجافي، وإذا نظرت إلى الأمة الإسلامية وجدت وسطيتها في كل مجال، فهي موطن الرسالة الأولى، وهي وسط في موقعها الجغرافي المهم، حيث كانت مهابط الوحي، أرض الإسلام ومهد الإسلامية الأولى فهي الوسيط بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب وهي مركز الوصل بين إفريقيا واسيا وطرف ممتد من أوربا وهي الرباط البري بين الطرق المائية(القرضاوي يوسف، 2005)، وهذه البينية تعطي التوازن والاستقامة والعدل ومن ثم الخيرية التي هي الوسطية الحقة.

وفضلا عن السمات الست السابقة للوسطية في الإسلام فقد حدد بعض الباحثين ملامح الفكر الوسطي في الركائز التالية:

- إن الوسطية تتميز في الفكر في موقعه المعتدل من قضايا كثيرة ومهمة فهو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المتطرفة.

- وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس.
- وسط بين المحكمين لعقل بلا مبرر، وإن خالف النص القاطع، والمعنيين للعقل ولو في فهم النص.
- وسط بين المقدسين للتراث وان بدا فيه قصور البشر، والملغين للتراث وإن تجلت فيه روائع الهداية.
- وسط بين المستغرقين في السياسة على حساب التربية، والمهملين للسياسية بدعوى التربية.
- وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها أو الغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها.
- وسط بين المستغرقين في الحاضر، الغائبين عن المستقبل، والمبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه.
- وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان، والمتحللين من أي عمل منظم كأنه حبات عقد منفرط.
- وسط بين الغلاة في طاعة الفرد، والمسرفين في تحرره كأنه عضوا ليس في جماعة.
- وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية، والدعاة إلى الإقليمية الضيقة دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية.
- وسط بين المفرطين في التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر، والمسرفين في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ولا يرقبون للظلام فجراً.
- وسط بين المغالين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال، والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدين شيء حرام.
- وسط بين الذين ينكرون الإلهام مطلقاً، فلا يعترفون بوجوده، ولا بأثره والذين يبالغون في الاعتدال به حتى جعلوه مصدراً للأحكام الشرعية.
- وسط بين التشدد ولو في الفروع والجزئيات، ودعاة التساهل ولو في الأصول والكليات .
- وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع، وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمثل العليا.
- وسط بين دعاة الفلسفة الليبرالية التي تعلي الفرد وتضخمه على حساب المجتمع، ودعاة الفلسفة الجماعية(الماركسية)التي تعلي المجتمع وتضخمه على حساب الفرد.
- وسط بين دعاة الثبات ولو في الوسائل والآلات، ودعاة التطور ولو في المبادئ والغايات.
- وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد وان كان في أصول الدين وقطعياته، ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وان كان في قضايا العصر التي لم تخطر ببال السابقين.
- وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة، والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص.
- وسط بين مراعاة الغلو في التكفير حتى كفرو كل المسلمين المتدينين والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين(القرضاوي يوسف، 2005).

هذه هي أهم ملامح الوسطية التي يجب أن يتبناها الفكر المعتدل والمتوازن في الخطاب الإسلامي المعاصر.

رابعا. أهم مظاهر الوسطية في التراث الإسلامي:

يمكن تحديد أهم مظاهر الوسطية في التراث الإسلامي من خلال محاور ثلاثة هي:

المحور الأول.الوسطية في العقيدة: فالمتأمل لمنظومة العقائد الإسلامية يجد أنها عقيدة وسطية بين من يتبعون الخرافات والأسطورة مهملين العقل والدليل مصدقين بكل شيء يصل إليهم تقليداً وإتباعا أعمى، وبين الماديين الذين ينكرون كل شيء وراء الحس ولا يأبهون أيضاً بنداء الفطرة والأشواق الروحية، وان الإسلام يقيم عقائده على براهين عقلية متصنعة وأدلة ساطعة فيقول تعالى"ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه (سورة النور، القرآن الكريم، الآية 117)، ونجد في هذه الآية أهمية البرهان والدليل، وقال تعالى"وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"(سورة البقرة، القرآن الكريم، الآية111)، كما أن الأنبياء اخبروا بأنهم مسلمون ودعوا قومهم للإسلام، لأنه الدين العقيدة الحقة التي تدعوا إلى التوحيد فقال تعالى "إن الدين عند الله الإسلام(سورة آل عمران، القرآن الكريم، الآية 19)، وقال ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين(سورة آل عمران، القرآن الكريم، الآية 85).

وهذا يدل على أن جميع دين الأنبياء واحد وهو الإسلام ودعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد لله وإفراده بالعبادة والمسلمون واتبعوا الرسل فهدوا لأقوم السبل فكان قولهم هدى بين ضلالتين وحقا بين باطلين أمتا اليهود والنصارى فاليهود غلب عليهم التقصير والتفريط والجفاء ومن ابرز تفريطهم وتقصيرهم اتخاذهم الأنداد لله وإغراقهم في تشبيه الخالق بالمخلوق، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط فألهوا الأنبياء حيث جعلوا المسيح عليه السلام هو الله فقال تعالى"لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم"(سورة المائدة، القرآن الكريم، الآية17)، أي أن الإسلام كان وسطياً في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته التي هي أساس الرسالات وعمودها الفقري وهي القاسم المشترك بينها فهو كلبن سائغ يخرج من بين فرث ودم (باعبد الله محمد باكريم محمد، 1994، ص 242).

كما أن الإسلام وسط بين من يؤمنون بالعقل وحده مصدراً للمعرفة، ومن ينكرون قيمة العقل ويقولون بالإلهام أو الأوهام، إذ أن الإسلام يقف موقفاً مميزاً في الربط بين العقل والوحي فهو يعتبر أن بينهما علاقة كعلاقة البصر بالنور، فالبصر يغدو عديم القيمة أو الفائدة في غياب النور، كما أن النور لا جدوى منه إذا سار في ضوء أشعته أعمى، فالعقل بصر، والوحي نور، وهي كما نرى وسط بين هؤلاء وأولئك.

المحور الثاني.الوسطية في الشريعة: وإذا كان الإسلام نظاماً مرتبطاً بالشرع، كما يقول مفكري الإسلام ارتباطاً لا إفكاك عنه، فالله انزل على عباده شريعة حنيفة سمحة سهلة حفظ فيها على الخلق قلوبهم وحببها لهم بذلك وسطاً تتضمن المبادئ والقواعد التي تؤمن النجاة في الدنيا والآخرة (الشاطبي ابي اسحاق، 2006، ص 116)، والاعتدال هو فضيلة الإسلام السامية وتحيط بكل شئون الحياة، لكنها حق من حقوق الله، أو أنها من ذلك المزيج بين الأمرين(حق الله، وحق العباد، لكن حق الله غالب فيه، وهذه الفكرة موجودة في كتابات إسلامية أخرى، والاعتدال والاستقامة في الشريعة هما جوهر الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، والمطلوب الالتزام به من جانب العلماء المسلمين، ولذلك أيضا تأثيراته في الخطاب الإسلامي المعاصر، ومن وسطية الإسلام في التشريع مراعاة سنة التدرج فيما يشرعه لهم من واجب أو محرم فنجد حين فرض الفرائض كالصلاة، والصيام والزكاة فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة، فالصلاة فرضت أول ما فرضت ركعتين ثم أقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع أعني الظهر، والعصر والعشاء، والصيام فرض أولا على التخيير من شاء صام، ومن شاء أفطر أي اطعم مسكينا من كل يوم يفطره والزكاة فرضت أولا بمكة مطلقة غير محددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير وحول بل تركت لضمائر المؤمنين وحاجات الجماعة والأفراد، حتى فرضت الزكاة ذات النصاب والمقادير في المدينة، والمحرمات وكذلك لم يأت تحريمها دفعة واحدة فقد علم الله سبحانه وتعالى مدى سلطانها على الأنفس، وتغلغلها في الحياة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فليس من الحكمة منع الناس عنها بأمر مباشر يصدر لهم، وإنما الحكمة إعدادهم ذهنياً وعقلياً ونفسياً لتقبلها وأخذهم بسنة التدرج في تحريمها حتى إذا جاء الأمر الناهي عن الفعل كانوا مسرعين في تنفيذه قائلين سمعنا وأطعنا، ولعل أوضح مثال لذلك في تحريم الخمر على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي حتى إذا نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها من سورة المائدة فهل انتم منتهون قال المؤمنون في قوة وتصميم قد انتهينا يا رب(القرضاوي يوسف، 1985، ص181).

لذلك اعتمد الإسلام على الوسطية في تشريعه سواء كان ذلك في العبادات المحضة أو في المعاملات، وكل من اطلع على عبادات الإسلام ومعاملاته يرى أنه لا يحيد عن الموقف المعتدل، ويرفض التطرف الذي يقتضي الميل إلى جانب على حساب آخر، فكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالتوسط في القراءة في الصلاة الجهرية الذي هو الوسطية والاعتدال فقال تعالى"واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين"(سورة الأعراف، القرآن الكريم، الآية 205).

وأيضا أمر صلى الله عليه وسلم بالتوسط في الصلاة وتخفيفها فقال يا أيها الناس أن منكم منضرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة.

المحور الثالث.وسطية الإسلام في الأخلاق والسلوك: إن الأخلاق والسلوك كان لهما في المنهج الإسلامي أهمية كبرى، فصاغهما على وفق اتجاهه في الاعتقاد، وبناهما على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة، وغاية الجنس البشري ومآله ومهمة وجوده من حيث هو خليفة الله في الأرض يقيم فيها شريعة الله ومناهجه.

ولذلك جاء الإسلام وسط في باب الأخلاق والسلوك بين مغالاة الواقعيين الذين تخيلوا الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق فأولئك اعتبروها خيراً محضاً، وهؤلاء أساءوا الظن فعدوها شراً خالصاً، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء فالإنسان كما صوره القرآن الكريم مخلوق مركب من العقل، وفيه الشهوة فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، وقد هدى للنجدين وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، وإما شاكراً وإما كفوراً فيه استعداد للفجور استعداده للتقوى، ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى،

ولذلك فالأخلاق الإسلامية آداب ربانية بمعنى ان الوحي هو الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لابد منها لبيان سمات الشخصية الإسلامية، حتى تظهر متكاملة متماسكة متميزة في مخبرها ومظهرها، وبالتالي فإن الأخلاق في الإسلام لم تدع جانباً من جوانب الحياة الانسانية، روحية، أو جسمية أو دينية أو دنيوية أو عقلية أو عاطفية أو اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل، للسلوك الرفيع، يختلف عما رسمه الناس في مجال الأخلاق باسم الدين وباسم الفلسفة وباسم العرف أو المجتمع وبالتالي فقد رسم الإسلام منهجاً وسطياً متكاملاً وواقعياً في مجال الأخلاق منسجماً، متناسقاً مع طبيعة الإنسان، ولذلك كان هدى النبي صلى الله عليه وسلم قائماً على الاعتدال فكان الرسول معتدل في نومه ومشيه وصاحب الخلق الوسط مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاؤه فمن رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشره أحبه(الصلابي علي محمد، 2005، ص 24).

ومن أوضح الأمثلة على وسطية الإسلام في السلوك والأخلاق دعوته المتكررة إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق والتحذير من التطرف في الإسراف أو التقصير ومصداق ذلك قوله تعالى"والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً(سورة الرحمن، القرآن الكريم، الآية 67) والقوام هو الوسط والاعتدال.

كما أن الإسلام يدعوا إلى التسامح والتعايش مع الآخرين ممن يخالفوه العقيدة او في المنهج كما يدعوا إلى إقامة جسور للحوار معهم على اختلاف طوائفهم واتجاهاتهم في إطار مجرد عن الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان دون نزعة طائفية، وهذا يتطلب الاهتمام بتطوير المفاهيم الدينية إلى مفاهيم دنيوية مثل المشاركة في الصلاة التي يمكن أن تتحول إلى مشاركة اجتماعية وشعبية.

قائمة المراجع:

1. القران الكريم.
2. ابن القيم الجوزي(1982)، مدارج الساكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان.
3. إبن منظور(1999)، لسان العرب، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
4. أبو التفاء أيوب موسي الحسيني الكوفي(1998)، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
5. ابي اسحاق الشاطبي(2006)، الموافقات في أصول الشريعة، ج2، سلسلة التراث، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر.
6. أحمد زكي بدوي(1986)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
7. أحمد سالم(2009)، الإسلام العقلاني(تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي)، مكتبة الأسرة، القاهرة ، مصر.
8. ارماندو سالفاتوري(2012)، المجال العام (الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام)، ترجمة احمد زايد، المشروع القومي للترجمة، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر.
9. انتوني جيدنز(2002)، بعيداً عن اليسار واليمين(مستقبل السياسات الراديكالية)، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة ، ع286، الكويت.

10.جمال عبد الجواد(2000)، التسامح في موسوعة الشباب السياسية، ج3، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مصر.
11.الصلابي علي محمد(2005)، الوسطية في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
12.عبد العزيز برغوث(2007)، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة منشورات سلسلة روافد ، وزارة الأوقاف ، الكويت.
13.عبد العزيز راجل(2008)، مفهوم الوسطية في الخطاب الإسلامي المعاصر، مؤسسة دراسات وأبحاث، السعودية.
14.عبد المجيد الشرفي(1991)، الإسلام والحداثه، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس.
15.غازي العتيبي(2009)، طرق معرفة الوسطية الشرعية دراسة أصولية، مجلة الأصول والنوازل، ع1.
16.فيصل دراج(2003)، المثاقفة بين الرغبة والحقيقة، مجلة التسامح، م1، ع2، عمان، الأردن.
17.محمد باكريم محمد عبد الله(1994)، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، الرياض، السعودية.
18.المعجم الوجيز(2009)، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة .
19.مني أبو الفضل(1996)، الأمة القطب نحو تأصيل مناهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، مصر.
20.وول ديورانت(1988)، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، لبنان.
21. يوسف القرضاوي(1985)، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان.
22.يوسف القرضاوي(2005)، الوسطية والاعتدال في مؤتمر الوسطية مختارات من فكر الوسطية، جمعية العزم والسعادة الاجتماعية، مكة، المملكة العربية السعودية.
23. Beneulin s., and M.Bana(2009) ,Religion undevelo pment; Rewiting,The secular .script ,London ,zed book.